

ازاحت نتنياهو... وأراحت حماس

حرب غزة خلطت الأوراق الفلسطينية والإسرائيلية

مع ان حرب غزة كانت خاطفة وسريعة، الا انها جاءت حافلة بالرسائل والمعاني والنتائج، فما بعدها ليس ولن يكون مثل ما قبلها. فقد شكلت نقطة تحول في مسار الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي، واعادت خلط الأوراق على الساحتين الاسرائيلية والفلسطينية

ها هو بنيامين نتنياهو يخرج من معادلة الحكم بعد اقامة 12 سنة متواصلة في رئاسة الحكومة، بعدما ازاحه ائتلاف حكومي هش. وها هي حماس تستعيد زمام المبادرة وتتأهب لدور جديد يتجاوز حدود غزة.

لم تكن المرة الاولى التي تندلع فيها حرب بين اسرائيل وحماس في غزة. حدث ذلك في اعوام 2008 و2009 و2014، لكنها المرة الاولى التي تكون فيها كل الساحة الفلسطينية معنية ومنخرطة في المواجهة على مجمل التراب الفلسطيني وفي كل فلسطين المحتلة. لعل ابرز ما اسفرت عنه هذه الجولة هو التلاحم والوحدة بين الفلسطينيين، ليس على المستوى السياسي وبين الحركات والقيادات، بل على المستوى الشعبي بين مختلف المناطق المقطعة الاوصال، ومختلف الشعب الموزع بين قطاع و الضفة وداخل (عرب 48).

اثبتت هذه الجولة ان القدس تبقى مركز الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي في اساسه وجوهره. ما حدث يؤكد ان مسألة القدس لا تحل ولا تحسم بقرار اميركي، وتبقى جزءا اساسيا من المشكلة والحل، حل الدولتين، والقدس الشرقية عاصمة لدولة فلسطين. كما اثبتت ان القضية الفلسطينية قادرة على استعادة مكانتها واعتبارها. بعدما اصبحت قضية منسية ومهملة، على الاقل منذ تفجر حروب وازمات ما سمي الربيع العربي الذي اسقط الملف الفلسطيني في ترتيب الاولويات وجعل الانظمة والدول العربية تنكفئ على نفسها ومشاكلها وقضاياها.



رئيس الحكومة الاسرائيلية الجديدة نفتالي بنت.

في لغة المقارنة والتشبيه، يمكن القول ان حرب غزة الاخيرة هي نموذج مصغر عن حرب تموز 2006، وان هناك اوجه شبه بين الحربين من حيث المفاعيل والتداعيات. بعد حرب العام 2006 تصرف حزب الله من موقع المنتصر لمجرد ان اسرائيل اخفقت في تدميره واخضاعه، وحصل ارتداد للحزب في اتجاه الداخل اللبناني، وكانت النتيجة ان سقطت حكومة الرئيس فؤاد السنيورة بعد عامين (ايار 2008) وولد اتفاق الدوحة. بعد حرب تموز ايضا سقطت سريعا حكومة ايهود اولمرت في اسرائيل ودفعت ثمة سوء تقديرها لقوة حزب الله ولنتائج المعركة. الان، تحدث امور وتطورات مماثلة: ما

وتعزيزه، ان لجهة امتلاك زمام المبادرة على الساحة الفلسطينية، او لجهة كسر الحصار العربي والدولي الذي كان مضروبا عليها. اضافة الى انه اخطأ في عدم التكيف مع المرحلة الاميركية الجديدة.

انهى نتنياهو مسيرة 12 عاما متواصلة قضاها في رئاسة الحكومة، وانتقل الى مقاعد المعارضة في الكنيست ليحارب من هناك على مصيره الشخصي والسياسي داخل المحاكم وداخل حزبه الليكود. في موازاة حركة التمرد التي اطلت براسها داخل الليكود، يعيش معسكر اليمين حالة من الصدمة والاحباط والغضب. هناك من يحمل نتنياهو مسؤولية ما حدث بسبب فشله في توحيد معسكر اليمين الذي حصل على 76 مقعدا في الانتخابات الاخيرة. هناك من يحمل نفتالي بينيت رئيس حزب "يميننا" وجدعون ساعر المنشق عن الليكود، مسؤولية الفشل في تشكيل حكومة يمينية بقيادة نتنياهو.

اما اقطاب الائتلاف الجديد، فان هدفهم المباشر والمهم كان نيل حكومتهم الثقة التي تعني ان الهدف الرئيسي الذي اوجد الحكومة ومكنها من تجاوز تناقضاتها

قد تحقق بالفعل، وهو اسقاط نتنياهو. اما الهدف الثاني، فهو احتواء الضغوط والحملات التي تستهدف الحكومة الجديدة والاتهامات التي تكال لها بالخيانة والتخاذل. لقد لجأ اقطاب الائتلاف بالفعل الى مواقف متطرفة ومتشددة لاثبات اهليتها وتعزيز الثقة الشعبية بها. وفي هذا المجال، هدد وزير الدفاع غانتس بحرب على لبنان لا تقاس بالحرب على غزة، وايد هؤلاء استئناف الجيش الاسرائيلي غاراته داخل سوريا، ووعدوا بأن تقرر الحكومة الجديدة في اول جلسة لها سلسلة مشروعات لتعزيز الطابع اليهودي للقدس وتوسيع الاستيطان.

في وقت انقسم اليمين الاسرائيلي على ذاته وتدور داخله معركة تصفية الحسابات،



المبادرة في يد حماس
والكرة في ملعب فتح



نتنياهو خرج بالنقاط ولم يسقط بالضربة القاضية.

ادت اولاً الى ازاحة نتنياهو، يبرز مجددا الانقسام على الساحة الفلسطينية بين غزة - حماس ورام الله - فتح. وضع محمود عباس ليس افضل حالا من وضع نتنياهو، وهو في مواجهة مرحلة جديدة بدأت مع معركة سيف القدس ونتائجها وتفرض عليه اما مواكبتها والانسجام مع متطلباتها، بدءاً من وقف التنسيق الأمني مع اسرائيل واعادة النظر في اتفاقات اوسلو. واما الاستقالة والخروج من الطريق المسدود والوضع الذي يحاصره: من جهة هو لا يريد ان ينهي حياته بتنازلات الى اسرائيل بل يريد ان يدخل التاريخ.

من جهة ثانية، هو لا يقدر على انتزاع زمام المبادرة من يد حماس، اقله في المرحلة الراهنة وحتى اشعار آخر. حماس التي تملي شروطه وترفض ربط اعمار غزة بأي تنازل سياسي وتضغط باتجاه اعادة هيكلة منظمة التحرير كاتار يعالج القضايا الاستراتيجية، وفي اتجاه اعادة تشكيل السلطة الفلسطينية من خلال الانتخابات النيابية، وسط استطلاعات تظهر سيطرتها مع الفصائل الفلسطينية على اكثر من 65 في المئة من المقاعد في المجلس الوطني. هذا ما يجعل ان حركة فتح التي تجاوزتها الاحداث وتحاول اللحاق بها واستيعاب الموقف، صارت معنية اكثر باحباط مشروع الانتخابات التشريعية والرئاسية في ظل ظروف غير مؤاتية لها، وان حركة حماس التي احكمت سيطرتها على غزة، تتهيأ لمشروع التمدد باتجاه الضفة الغربية والانتقال من مرحلة التغلغل الأمني المخابراني الى مرحلة التوغل الشعبي والسياسي، على ان تكون الترجمة الاولى في الانتخابات المقبلة، بما يفرض الى حصولها على اكثرية برلمانية (المجلس التشريعي)، وكسر احتكار فتح للسلطة والحكومة ومنظمة التحرير، بالتزامن مع كسر التصنيف الارهابي لحماس وابرار الوجه الاخر لها كحركة مقاومة.

المتمثل في اسقاط نتنياهو، تعزيز مكانتها لدى ناخبها، تمهيدا لانتخابات مبكرة، لن تكون بعيدة على الارجح، اذ من الصعب ان يصل عمر الائتلاف الوليد الى الحد الذي يسأل فيه عن استحقاق المداورة، بعد عامين من اصل اربعة اعوام، هو عمره الافتراضي على الورق.

تدخل اسرائيل الى عهد سياسي جديد، ولكن هذه الحكومة تواجه مروحة من التباينات منها: الائتلاف المتوتر بين اليمين واليسار والذي تختلف الاحزاب التي تشكله حول اي مسألة قومية جوهرية: انضمام حزب عربي كشريك في الحكم، كون رئيس الحكومة (بنيت) يستند الى كتلة من ستة اعضاء كانوا يفضلون الاحتفال بتنصيب حكومة يمينية، نظام التبادل في المناصب والتناوب والتأثير المتساوي على قراراتها الذي يعقد بشكل اكبر التسويات الشائكة التي اقترتها الحكومة المنتهية ولايتها، التهديدات الواضحة والداهمة في القدس وغزة والبؤرة الاستيطانية العشوائية افيتار التي من شأنها زعزعة الحكومة في ايامها الاولى.

بالاستناد الى هذه الالغام، يصعب تقدير كيف ستعمل الحكومة الجديدة، وكم من الوقت ستصمد، وكيف سترد على التحديات الامنية والاجتماعية التي ستمثل امامها؟

تدخل اسرائيل مرحلة جديدة بعدما ظل الحكم فيها طويلا محصورا في يد شخص واحد، هو بنيامين نتنياهو. تبدل رئيس الوزراء هو اهم ما في هذه المرحلة. بطبيعة الحال، لا يعني سقوط نتنياهو سقوط اليمين الاسرائيلي، بل اتجاه اسرائيل اكثر الى مزيد من التطرف اليميني. هذه حقيقة يجب استحضارها دائما.

مع تشكيل حكومة جديدة ائتلافية وهشة، تطوى مرحلة نتنياهو ام تطوى صفحة من كتابه؟ هل انتهت حقبة نتنياهو وخرج من الحكم ودخلت اسرائيل مرحلة ما بعد نتنياهو، ام انه خسر بالنقاط ولم يسقط بالضربة القاضية ويتحين الفرص لاسقاط الحكومة التي باغتته في غفلة من الزمن؟

وانتخب حكومة جديدة مناوئة له برئاسة نفتالي بنيت، رئيس حزب اليمين المتطرف (يمين)، وعضوية واسعة تضم ثمانية احزاب من اليمين واليسار، وتضم حتى كتلة الحركة الاسلامية برئاسة النائب منصور عباس. حظيت الحكومة بتأييد 60 نائبا، وبالمصادقة عليها، يكون عهد بنيامين نتنياهو قد ولى، مع انه اعلن بأنه لن يترك الحلبة.

يسقط نتنياهو من دون ان ينتهي سياسيا، وينقل نفسه وحزبه والاحزاب التي تدور في فلكه الى صفوف المعارضة، ليعمل من هناك على اسقاط الحكومة او التشويش عليها عبر تعزيز خلافاتها، علما ان ما يفرق فيها اكثر مما يجمع. في المقابل، سيكون واحدا من ابرز تحديات اركان الحكومة الجديدة، بمجرد ان تنتقل السلطة اليها وتحقق بالتالي اهم اهدافها

”

ادارة بايدن تتحرك لادارة الصراع وليس لحله

“



مصر استعادت دورها الاقليمي من باب غزة.

- تثبيت وقف النار واسناده الى اسس سياسية.

- اطلاق عملية اعادة اعمار غزة لكن عبر السلطة ورام الله حتى لا تعطى حماس فرصة الاستفادة وتعزيز قدراتها المالية والشعبية.

- تحضير الظروف لاستئناف المفاوضات بين اسرائيل والضفة على اساس حل الدولتين. لا تريد ادارة بايدن ان يستهلكها الشرق الاوسط، لكنها تحتاج ايضا الى القيام بما يكفي لادارة ما يحدث في المنطقة لتجنب الانجرار اليها، في ظروف قد توفر خيارات اسوأ بتكاليف اعلى. الخوف يكمن في ان يكون اقصى ما سوف تقدم عليه واشنطن في هذه المرحلة هو محاولة ادارة النزاع وليس حله.

بعد هدوء العاصفة، تكشف ليس فقط مشهد الاضرار والخسائر في غزة، وانما ايضا مشهد الانقسام السياسي والسجال الاتهامي داخل اسرائيل، حيث بدأت اصوات المعارضة ترتفع وتتحدث عن الفشل والاختفاق. على وقع هذه الانقسامات والتناقضات تشكلت حكومة اسقاط نتنياهو، ووضع الكنيست الاسرائيلي حدا لعهد حكم نتنياهو،



حرب غزة 2021
فؤذج
مصغر عن
حرب تموز 2006.

قبل حرب غزة، كان تجاهل اميركي لمصر ولم يبادر الرئيس بايدن الى الاتصال بالرئيس السيسي اسوة بما فعله مع زعماء اخرين في المنطقة، لان بايدن لم ينظر الى الشرق الاوسط ولم يتعاط معه في الاشهر الاولى من ولايته الا من زاوية ايران والعودة الى الاتفاق النووي. لكن حرب غزة داهمت الادارة الاميركية واربكت حساباتها وسياساتها التي تحتاج الى استقرار في المنطقة. ولم يجد بايدن الا السيسي يلجأ اليه والصديق الذي يستعين به لتولي امر التهدة وضبط الوضع. اضطرت ادارة بايدن الى تعديل سياستها في المنطقة بابطاء وتيرة المفاوضات مع ايران، والتخفيف من التركيز المطلق على الملف النووي الايراني، والتدخل المباشر لادارة ملف الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي، وايفاد وزير الخارجية انطوني بلينكن لهذه الغاية في اول خروج له الى الشرق الاوسط، وعلى اساس خطة او اجندة عمل تتضمن:

حكومة الائتلاف الجديد؛ كم من الوقت ستصمد؟

فخلال الحرب الاخيرة، قلبت القاهرة الطاولة وخالفت التوقعات، فوظفت دبلوماسيةها واستخباراتها سعيا نحو اتفاق لوقف اطلاق النار من دون ضغط على حماس. لقد استفادت القاهرة من تراجع اهتمام معظم الدول بالقضية الفلسطينية، وربحت صورتها امام الشعب الفلسطيني واهل غزة، كما شكلت المكاملة الهاتفية التي اجراها الرئيس اميركي جو بايدن مع الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، التي ناقشا فيها سبل احياء عملية السلام بين الاسرائيليين والفلسطينيين، اعترافا علنيا بمركزية القاهرة في ملف لا يزال مهما للاميركيين.

بعد توصل الوسيط المصري الى اتفاق تهدئة طويل الامد بين حماس واسرائيل، في ظل غياب كامل لدور السلطة الفلسطينية، ابدى عباس انزعاجه، فبادر الى الطلب من القاهرة الانتباه الى عدم تجاوز دور رام الله لانه يصب في مصلحة تقوية موقف حماس، حتى لا ترفع الاخيرة سقف مطالبها في ما يتعلق بترتيب البيت الفلسطيني، خصوصا منظمة التحرير والحكومة، مبديا استعدادها لتشكيل حكومة وحدة وطنية يكون على رأس اولوياتها الاشراف على اعادة اعمار قطاع غزة. ابلغت مصر حماس ان الاعمار لن يتم من دون مسؤولية السلطة واشرافها، لان ذلك شرط من شروط الولايات المتحدة والاوروبيين والدول العربية.

التحولات بعد حرب غزة لعبت لصالح النظام المصري. فبعد اعوام من انكفاء دور مصر الاقليمي في المنطقة، رفعت احداث غزة ارصدة القاهرة السياسية، واستعادت دورها في ادارة الملف الفلسطيني.